

# عبد الحي مسلم : شهادة الفنان إلى جانب الإنسان

جميع حقوق النشر محفوظة © 2019  
لجريدة الدستور

عبد الحي مسلم : شهادة الفنان إلى جانب الإنسان غازي انعيم

يعد النحات عبد الحي مسلم ، المولود في الدوايمة - الخليل عام 1933 ، والذي لم يدرس الفن في أكاديميات ، وعلم نفسه بنفسه وهو في سن الأربعين - نفس السن التي دخل بها هنري روسو إلى الفن - من أهم الفنانين الفطريين في الوطن العربي الذين حققوا حضوراً متميزاً في ثمانينات القرن الماضي ، وعبر جمالية تعبيرية تكونت في تلك المرحلة واستمرت حافظة خصائصها وسمات تميزها إلى الآن.. ويعد أيضاً أحد أهم رواد المدرسة الفطرية في العصر الراهن.

إضافة إلى ذلك تعتبر تجربته من التجارب المتميزة في استشفاف الأبعاد الحضارية والإنسانية للقضايا والأحداث الوطنية والقومية والأمية.. لكن ما يميز تجربة عبد الحي مسلم الأصيلة عن غيره من تجارب الفنانين في هذه المدرسة التي اكتشفها زعيم الفنانين الفطريين هنري روسو ، ترجع إلى عدة أسباب:

أولاً: التقنية التي اكتشفها بنفسه ، ألا وهي ( نشارة الخشب والغراء ) ، وهذه التقنية لم تكن موجودة في السابق ضمن تقنيات الفن التشكيلي العالمي.. واستطاع مسلم أن يوظف هذه التقنية لخدمة المضامين القادرة على خلق أشكالها المناسبة.. وأن يصوغ من خلالها عناصره التي عبرت عن همومنا ومعاناتنا وأفراحنا.

وحين نتحدث عن التقنية ، فإننا نتحدث عن الجوانب التي تخدم الأهداف التعبيرية المنشودة ، بعيداً عن النظرة الأوروبية الضيقة إلى تقنيات الفن.. حيث الفصل القسري بين مادة تقود إلى تشكيل وأخرى إلى حرفة ، لذلك هناك من هو متمكن من التقنية لكنه لا يعطي فناً ، وهناك تقني ماهر يعطي فناً عظيماً ، كما هو الحال بالنسبة لفناننا الكبير عبد الحي مسلم.

ثانياً: عاش مسلم هاجس البحث والتجريب.. حتى أصبح متمكناً من التشريح والنسب.. وتعني الأخيرة بأن عبد الحي مسلم أصبح قادراً على ضبط النسب في عمله ، كنسبة الرأس إلى بقية الجسد ، ونسبة ( حجم ) الكف أو اليد إلى الرأس إلى بقية الجسد ، وكنسبة الأذن أو العين إلى الرأس وهلم جرا.. وهذا جاء نتيجة للدراسة والبحث المستمر. كل ذلك دفعه بالتأكيد إلى امتلاك الأداة والصنعة وهذا حقق له الخبرة المطلوبة من أجل الانطلاق إلى أفاق أكثر رحابة وأكثر تماسكاً حتى وصل إلى أسلوب مميز.

ثالثاً: التنوع في الطرح.. وفي أشكال التعبير.. ولأننا شهدنا تجربته منذ بداياته الأولى نستطيع أن نؤكد أننا أمام تجربة كبيرة ، بتقنياتها وصناعاتها ، وبموضوعاتها ومضامينها التي ترصد الحياة اليومية للشعب الفلسطيني

والأحداث التي مرت بها القضية الفلسطينية.. وهو كغيره من الفنانين الملتزمين انطلق من الحدث كدافع للتعبير.. وأنجز مجموعة أعمال تمثل الحياة الفلسطينية ما قبل النكبة وما بعدها من نزوح وتشرد وقتل وسجن ونضال.

لكن الشيء الهام في تجربة مسلم يكمن في رؤيته التي تحققت كإنجاز فني عبر أعمال تحمل في مضامينها أبعاداً تراثية وإنسانية قادرة على الحياة ضمن خصوصية العصر.. مؤكداً على الأبعاد الإنسانية والجوانب التراثية في تفاعلها مع الواقع.

والمدقق في مسيرة فناننا التشكيلية الطويلة بشكل عام ، يلاحظ أن الموضوعات التي تناولها ، توزعت على الأحداث والقضايا الوطنية والقومية والأممية ، وبشكل خاص القضية الفلسطينية حيث حملت الموضوعات التي تدور حولها مختلف المضامين وتحققت كإنجاز تشكيلي عبر عناصر ورموز متنوعة ومختلفة ، واعتمد من أجل تحقيق تعبيريته على التحوير والتبسيط والمبالغة في التعبير.

لكن يا ترى ماذا عن معرضه السابع والعشرين "فنان... وقضية" الذي أفتتح في 12 تشرين الثاني في صالة توفيق السيد برابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين ، الذي نعتبره متطوراً في شكله ومحتواه؟

حاول عبد الحي مسلم من خلال ثلاثة وعشرين عملاً فنياً منفذة بطريقة النحت البارز - ريليف نافر - أن يستحضر الفاجعة والدمار والمجازر والأمل.. بصيغة تعبيرية تتلاءم مع انفعالاته وأحاسيسه في آن واحد ، ولعل عمله "مجزرة مسجد الدوايمة" التي وقعت في 20 - 10 - 1948 وعمل "محرقة غزة 2008" وعمل الأمريكية راشيل "حمامة أمريكية في رفح" ، وعمل "جدار الفصل العنصري" ، وعمل "مذبحة جنين" خير تمثيل ، والتي أصبحت تشكل اتجاهها من اتجاهات الفن الفلسطيني.

وأهمية تلك اللوحات لا تكمن فقط في شكلها المتميز ، بل في محتواها أيضاً ، المحتوى الذي عكس رؤية الفنان للحدث المأساوي ، في محاولة منه لتثبيت اللحظة الإنسانية وتخليدها.. تخليد أطفال ونساء ورجال في صرختهم وعذاباتهم واحتجاجاتهم وجراحهم واستشهادهم الجماعي. وقد يقول قائل: لماذا هذه "السوداوية" في أعمال مسلم؟

للإجابة على ذلك السؤال: نؤكد بأن النحات مسلم لم يصل في هذه الأعمال إلى السوداوية ، لأن شخصه ما زالت تصرخ ، تحتج ، وما زالت واقفة تحمل جراحها وتقاوم. وبذلك تجاوز مسلم الصيغة التي تسجل الحدث ، ليقدم رؤيته في تخليد ناسه وقدرة شعبه وإصراره على الاستمرارية في النضال رغم حجم المجازر.

وهذا ما أكدته في أكثر من عمل ، منها عمل "أطفال الانتفاضة" حيث رمز للمقاومة بفرس يمتد جسمها من مقدمة العمل حتى نهايته ، ويقف على ظهرها أطفال يحملون الحجارة ، ويحيط بالفرس من كل جانب أطفال وأناس من

كل الفئات الشعبية وهم يمثلون مختلف الشرائح التي تشارك في المقاومة.

## ارتباط بالمكان

لكن الفنان مسلم لم يفقد الأمل ، وهو موجود في كثير من الأعمال ويتركز في الأطفال وفي تلك النباتات التي تنمو هنا وهناك مثل الزيتون والصبار وشقائق النعمان التي تخرج من جسد الشهيد.. وكذلك الأمل موجود في عمل "الأمانة" الذي يمثل امرأة تقدم البندقية لثلاثة أطفال فوق حصان ، والأمانة هنا ترمز إلى استمرارية المقاومة.

كما استحضر مسلم في هذا المعرض ، كتاباً وأدباء وشعراء وفنانين عرباً وأجانب وكذلك الأصدقاء الراحلين ، مثل: "مصطفى الحلاج وناجي العلي ومحمود درويش "

وفي منحوتات مسلم ارتبط الإنسان - امرأة رجل شيخ طفل - بالمكان الذي تمثل في خلفية المنحوتة ، فأحياناً يكون عمارة بنائية حيث تحتفظ البيوت الريفية الفلسطينية بحجارتها ونمط بنائها المميز بملامحها التراثية.. أو نباتية.. أو عناصر لها ارتباط وثيق بالمقاتل والمرأة ، مثل البندقية والعلم والكوفية والقارب والمصباح والمفتاح.. وعناصر لها ارتباط بالزراعة مثل: المذراة والشعوب والمحراث والفأس.. واهتم مسلم في أعماله أيضاً بالأطفال وألعابهم حيث صورهم وهم يلعبون مؤدين حركات مختلفة سواء في الموالد ، أو الأعراس ، أو بالمرجوحة المربوطة بالشجرة أو اللعب فوقها أثناء قطاف الزيتون وغير ذلك. كما ألقى الضوء على حياة أهله وعاداتهم وتقاليدهم التي كانت سائدة في مسقط رأسه قرية الدوايمة بفلسطين قبل وقوعها في قبضة الاحتلال الصهيوني عام 1948، وقدم طقوس القرية ومنها مراسم العرس ، عندما صور في مجموعة من الأعمال احتفالات القرية بالعرس الذي لا يختلف عن أي قرية فلسطينية أخرى. ففي كل عمل تناول طقساً مختلفاً عن العمل الآخر ، تارة وهم يتجمعون في صف واحد يرقصون في حركات جماعية على أنغام الشبابة والمجوز واليرغول ، وتارة أخرى نرى مجاميع بشرية في (عونة) أثناء قطاف الزيتون. ونشير هنا بأن شجرة الزيتون في أعمال عبد الحي ترمز للأرض واستمرارية الحياة.

أما المرأة التي رمز بها إلى الأرض والوطن والأم ، وقدمها في موضوعات ومضامين متنوعة ، فقد قام بتوظيفها توظيفاً تعبيرياً ، متنوعاً من حيث الجمالية والمحتوى ، عندما صورها بحليها وزياها الشعبي المتميز وهي تؤدي أدوارها المختلفة سواء في النضال أو تربية الأطفال أو العمل إلى جانب الرجل.

كما تميز الفنان بخبرة تقنية عالية إلى جانب التزامه بالنسب التشريحية للجسد الإنساني ، والإتقان الشديد في إبراز وإظهار حركة مشخصاته التي لعبت دوراً هاماً إلى جانب قوى التعبير على ملامح الوجوه ، التي تعتبر من أهم سمات المعرض ، كما وفق الفنان تماماً في اختيار الألوان المعبرة عن شخصياته ، وتناغمها مع ألوان الخلفية. واهتم كذلك برصد مظاهر الحياة الفلسطينية اليومية وتفصيلها ، وصاغ عذابات الإنسان الفلسطيني: آلامه وآماله وأحلامه. وأخذ الإنسان دور البطولة في جميع أعماله منذ بداياته الأولى وما زال العنصر الأكثر حضوراً

في أعماله. وهكذا تنوعت موضوعاته وعناصره ورموزه لتخدم في النهاية موقفه الملتزم بالتعبير عن قضايانا الوطنية والقومية والإنسانية.

### شهادة ضد الحرب والموت

ومن خلال أعمال هذا المعرض قدم عبد الحي مسلم شهادة الحياة والسلام ضد الموت والحرب ، وضد القهر والتسلط ، والقمع والاحتلال ، وتغييب الإنسان ، وإلغائه ، وقدم موقف الإنسان الذي يرفض كل أشكال الإبادة التي تعرضت لها ذاكرة فلسطين مثلما يتعرض لها حاضرها .

معرض "فنان وقضية" نحاظ إليه منذ البداية ليس لأنه تدوين بصري للزمن الفلسطيني أو العربي بل لأنه أيضاً يمثل علاقة جدلية بين الفنان وموضوعه. انه صفحات من ذاكرة.. وصفحات من صور مرت وراحت ، أو لصور تنتظر حتى تمر. هذا المعرض عبارة عن شريط تشكيلي يختزل يوميات الشعب الفلسطيني ويضعها أمام المشاهد بطريقة تمكن هذا الأخير من الوقوف والتأمل في مسار حياة شعب وأمة بكل ما يتضمن هذا المسار من أحداث وعادات وطرائق عيش. وهكذا قدم مسلم في معرضه شهادة الفنان إلى جانب الإنسان.

بقي أن نشير بان الفنان مسلم شرد من قريته الدوايمة عام 1948 إلى أريحا وبعد النكسة عام 1967 إلى عمان ، ثم إلى دمشق وبيروت وطرابلس الغرب ، ثم عاد إلى بيروت ودمشق. وفي بداية التسعينيات استقر في عمان ، ويمارس مسلم طقوسه الإبداعية دون كلل أو ملل في مشغله الواقع في جبل القصور. والفنان مسلم الذي أنتج عن حياته وتجربته عدة أفلام وبرامج تلفزيونية.. أعماله مقتناة لدى العديد من الشخصيات والمؤسسات والمتاحف على الصعيد المحلي والعربي والعالمي.

ه ناقد وتشكيلي أردني

ghaziinaim@yahoo.com